المؤرخ براور يركز على حقيقة هامّة، هي أن التقويم الاحصائي للوجود البشري الصليبي ينبغي أن يأخذ في الاعتبار كيف أن الصليبيين كانوا لا يواجهون فقط السكان المسلمين في داخل مناطق استيطانهم، أي في الأراضي التي احتلوها فقط، وانما كانوا يواجهون ملايين المسلمين، من النيل الى بلاد ما بين النهرين. واشار براور الى أن حسن حظ الصليبيين تمثّل في أن المسلمين كانوا عاجزين عن تعبئة مواردهم البشرية (وغيرها بالطبع) على مدى أكثر من مئة وخمسين عاماً. وأن معظم محاولات توحيد الجموع الاسلامية (الأكثرية)، مثل محاولة صلاح الدين الايوبي، لم تكن تعمّر طويلاً بعد وفاة صاحبها[٦]. وهكذا، فإن حل المعادلة البشرية الصعبة، بالنسبة الى الصليبيين، كما تراها المصادر الاسرائيلية، تمثّلت في التمزق والتشرذم العربي الاسلامي، حتى اذا تمّت الوحدة العربية الاسلامية على يد صلاح الدين، ثمّ على يد بيبرس من بعده بنحو مئة عام، انقض المسلمون على الكيانات الاستيطانية الصليبية وصفّوها تماماً.

كذلك، تلاحظ المصادر الاسرائيلية أن التفوق البشري العربي الاسلامي على الوجود الصليبي جعل الصليبيين يعيشون تحت السلاح باستمرار[٧]. وبالطبع، لنا أن نقارن بين هذا النمط، أو النموذج، الصليبي والوعي الاسرائيلي المعاصر بأهمية عسكرة المجتمع الاستيطاني الصهيوني في المنطقة العربية. ويلفت النظر أن وعي الكيانات الصليبية بحالة الضعف السكاني التي كانوا يعانون منها جعلهم يسعون، الى جانب عسكرة مستوطناتهم في الاطار الداخلي، الى البقاء على تواصل مستمر بشواطىء شرق البحر المتوسط. وقد كان ذلك التواصل ـ كما وصفته المصادر الاسرائيلية المعاصرة ـ بمثابة الحبل السري الذي ربطهم بمصدر الموارد البشرية في أوروبا. وظل هذا الملمح في صالحهم في مراحل قوتهم؛ ولكنه تحوّل الى صالح الجانب العربي الاسلامي حين حاق بهم الضعف. فبعد سقوط القدس، على سبيل المثال، عمد صلاح الدين، بعبقريته العسكرية الفذة، الى الاتجاه نحو المدن الساحلية الصليبية، بغرض محاصرة المواقع الداخلية للمستوطنين، وحرمانها من الامدادات البشرية، وغير البشرية، من طريق البحر. كما قام صلاح الدين، وخلفاؤه عموماً، بتدمير القلاع والمدن الصليبية، بهدف استئصال قواعد ارتكاز المستوطنين، وحرمانهم من أي مدد أوروبي قادم الى هذه القواعد[٨].

واذا كان الكيان البشري للفرنجة محدوداً من حيث الكمّ، فانه لم يستطع، من ناحية الكيف، تقمّص روح الشرق العربي الاسلامي، وحياته الثقافية الفكرية، وطقوسه المعيشية، من حيث المأكل والملبس والسلوك. لقد كان كياناً مرتبطاً بالغرب تماماً، على سعة المسافة معه، وطول الأمد في وجوده بالشرق لنحو مئتي عام. ولهذا، كان كلما انقطعت صلاته بذلك الغرب، بشرياً ومادياً، ساءت أحواله[٩].

وهذه الناحية الأخيرة لم تغب عن ذهن القيادة الصهيونية. فهي تحاول اتخاذ العبرة بالعمل على خلق هوية إسرائيلية قومية وشخصية ثقافية خاصة، ولو من خلال انتحال تراث الشرق العربي بعامة، والفلسطيني بخاصة، وادعائها به، وذلك تحسّباً لانقطاع المدد البشري والارتباط الثقافي بالمجتمع الغربي الأصل.

بصفة عامة، تعبّر الخبرة الصليبية عن الفشل في التعامل مع البعد السكاني. فقد كانت الانكسارات العسكرية المتوالية إيذاناً بزوالها واستئصال شأفتها من المنطقة؛ ثمّ جفّت تماماً، وماتت، بعد أن ملأت الشرق ضجيجاً طوال قرنين من الزمن، وأحدثت جرحاً غائراً في العلاقات العربية الاسلامية ـ الأوروبية المسيحية، ما أنفك الكثيرون يذكرونه حتى الوقت الحاضر.

الى جانب الخبرة الصليبية، هناك خبرات أخرى للاستعمار الاستيطاني (السكني) أقرب